مواجهة الغزو الثقافي
الصهيوني والأجنبي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

لقد كتب الكثيرون من المفكرين الإسلاميين في الغزو الفكري - الثقافي المعاصر ، وتركزت كتاباتهم في الغالب على تصوير المشكلة أو الداء ، ويحسن دائماً تجاوز المشكلات إلى إعمال الفكر وإعداد الوسائل والطرق الناجعة لمواجهة هذا الغزو ، والتصدي لمختلف أساليبه ، لحماية الأمة الإسلامية والعربية من سرطان المخططات الأجنبية ، متمثّلة في الثالوث المدمر : الصهيوني والصليبي والعلماني أو الإلحادي ، لذا كان اختياري هذا الموضوع : « مواجهة الغزو الثقافي الصهيوني والأجنبي » في غاية الأهمية .

وليس هذا الغزو حديثاً إنما هو قديم منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية وعبر التاريخ الإسلامي بأدواره المتلاحقة ، فقد عمل الخصوم أو الأعداء على إجهاض الفكر الإسلامي بوسائل عنصرية ومذهبية وأخلاقية سلوكية وثقافية . والعنصرية تبدأ فردية ثم تصير تجمعات قبلية وعرقية وقومية تجاه شعب آخر ، ثم تأتي الممارسات الأخلاقية والسلوكية ، فتفصل شرائح المجتمع وتقطّع أوصاله ، ثم تعقبها المذهبية الناشئة عن الاتجاهات الثقافية التي تنمو بحسب اختلاف اللغات وتعدد مفاهيمها ، فتوجد الفرق والمذاهب في أنحاء العالم وبخاصة في آسيا وإفريقية .

ويقتصر كلامي على تحديد معنى الغزو الثقافي المعاصر ، وبيان أساليبه الماكرة ، وطرق مواجهته ومحاولة تصفيته أو الحد من تأثيراته وتياراته المتغلغلة في شعاب الحياة المختلفة ثم بيان مخاطر التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني .

* * *

معنى الغزو الثقافي

الثقافة ـ كما جاء في معجم العلوم الاجتماعية وقاموس علم الاجتماع ـ هي استجابة الإنسان لإشباع حاجاته المادية والروحانية ، أو إنها تشمل نماذج الحياة الاجتماعية بأسرها ، العائلية والاقتصادية والدينية والأخلاقية والتربوية والجمالية والسياسية واللغوية والعلمية . والثقافة في الواقع تنشأ من الدين ، ونرفض مثلاً القول الدارج : الفن للفن ، فلا بد من أن يكون الفن أخلاقياً ، والدين أصل الأخلاق ، ويجب احترام القيم الدينية في مجال الفن وغيره .

والغزو الثقافي : هو أن تظل الشعوب الضعيفة النامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها .

والغزو الثقافي المعاصر في وسائله المتعددة ، ومنها البث التلفزيوني العالمي المباشر عبر الأقمار الصناعية ، الذي يهدف إلى استعمار الفكر والوجدان والسلوك لدى شعوب العالم النامي (المتخلف) من خلال الهيمنة الاتصالية والتدفق الإعلامي أو « تكنولوجيا الاتصال والإعلام » ، بقصد تشويه الهوية الثقافية ، وطمس معالمها ، وتدمير الخصوصية الحضارية لدول العالم الثالث ، وإبعادها عن تراثها وأصالتها ، وإيقاعها فريسة التبعة الثقافية وتحدياتها ، وتطويقها بثقافات الدول المتقدمة تقنياً ، وإيجاد ازدواجية ثقافية بصفة أولية لتدمير ثقافات العالم النامي ، وفرض نموذج صهيوني خفي ، وأوربي معلن ، في أشكال مزرية تدعو للسخرية .

ويتركز هذا الغزو الثقافي المعاصر بشبهاته وأغاليطه وخططه العالمية المتقنة بنحو خاص ، من أجل سلخ المسلمين عن دينهم وحضارتهم وتراثهم ، أو تشكيكهم في مدى صلاحية دينهم وحضارتهم للبقاء في العصر الحاضر ، توصلاً لهيمنة العدو وتحقيق غاياته واعتماداً على تقدم الدول الغربية الضالعة مع الصهيونية في مخططاتها ، وتفوقها العلمي والعسكري والاقتصادي ، وتملّكها وسائل التقدم والتكنولوجيا والهيمنة الاتصالية والتفوق الإعلامي .

والهدف الواضح من ظاهرة الغزو الثقافي المعاصر : هو التأثير بنحو هادف ومخطط في ثقافة المجتمعات المتخلفة ، التي تفتقر لمعظم وسائل التقدم والتكنولوجيا ، وإحداث ازدواجية ثقافية ومسخ هُوية ثقافة هذه الشعوب ، وإدماجها تدريجاً في ثقافات الدول المتقدمة .

يتبين من التعريف السابق للغزو الثقافي المعاصر الخصائص والأبعاد الآتية :

ـ الغزو الثقافي ظاهرة إنسانية تاريخية تحدث في كل العصور .

ـ وله تأثير أقوى وأكثر على الطرف الضعيف القابل للتأثر والتبعة أو قابلية الاستعمار ، كما قال المرحوم مالك بن نبي .

ـ ويتضمن تسلطاً وسيطرة من القوي على الضعيف ، لفرض نموذج ثقافي معين ، من قيم وعادات وأساليب حياة واعتقاد دين ، يكون غالباً مشوِّها لعقائد الضعفاء ، وموجِّهاً إياها نحو أوضاع معينة تخدم مصالح الأقوياء .

ـ من السهولة بمكان تعرية روح الهيمنة والعدوان والاستعلاء التي تخفيها الحضارة الغربية المتغلبة في الوقت الحاضر ، تحت ستار العالمية والإنسانية .

ـ إن التحدي الحضاري بمفهومه الغربي المتسلط يؤدي إلى إذكاء روح المقاومة عند الشعوب المستضعفة[١] .

والمغزى الخطير للغزو الثقافي : هو نشر الفساد وإفساد الأخلاق ، والإنكليز قديمو العهد في صناعة الإفساد الخلقي للولوج بالاستعمار إلى مناطق العالم المختلفة[٢] . والصهيونية بمخططاتها البعيدة في التاريخ ، تهدف إلى تدمير الأخلاق ، وهدم جميع المذاهب الدينية المخالفة[٣] ، وانتشار الانحطاط الأخلاقي بين الشعوب ، كما جاء في القرار العاشر من بروتوكولات حكماء صهيون ، وتحطيم العقائد الدينية المختلفة المسيحية والإسلامية ، كما جاء في القرار الرابع منها . والبواعث أو الدوافع واضحة ، وتكمن في الحقد الصهيوني الصليبي ، والتحرك الاقتصادي من أوروبة نحو الشرق ، لحرمان المسلمين من مصادر قوتهم وإضعافهم . والواقع ملموس بمحاولات الصهاينة إفساد مصر والأردن بعد تطبيع العلاقات بين إسرائيل وبين هذه الشعوب والدول .

* * *

(١) مقال تحديات الغزو الثقافي المعاصر للدكتور جابر محمود طلبة في مجلة الاقتصاد الإسلامي ، العدد ١٦٨ .

(٢) التبشير والاستعمار مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ : ص ١٩٨ وما بعدها .

(٣) أهداف الصهيونية ، تعريب فريدريك زريق : ص ٦٧ .

وجهات الغزو الثقافي

اتجه الغزو الثقافي المعاصر وجهتين : فكرية ومادية .

أما الوجهة الفكرية : فهي حركة عقلية منظمة ومخططة وطويلة الأمد ، تعمل على تشويه العقائد واللغة والتراث والتاريخ والحضارة ، وهذه أخطر جوانب الغزو ، لأنها تفسد العقول ، وتستتبع غزو الوجدان والسلوك . وينمِّي هذه الوجهة البث الإعلامي والتلفازي المعاصر ، بتوجيه الأفكار وتنبيه الحكام إلى مواطن الخطر المهدد في زعمهم ، وإفساد القيم والأخلاق بنماذج الفن الهابط ، من الرسم العابث والرقص الخليع والمسرح المتهتك ، والفحش والعُرْي ، والغناء الماجن ، وموسيقى الزار والهلوسة التشكيلية ، والعنف والهزل ، وتمييع الآداب وتجاوزها وإهمالها ، وإرسال البغايا لنشر الأيدز والأمراض الجنسية في البلاد الإسلامية وغيرها .

وأما الوجهة المادية : فهي حركة إغرائية شهوانية تُعنى بالماديات ، وتهدف إلى إغراق المجتمعات بسيل من المنتجات المادية المصنعة ، مثل المواد والمعدات التي تخترق الثقافة ، دون أن تعمل على تكاملها ، وتروِّج للثقافات المستوردة ، وفرضها على الثقافات الوطنية .

* * *

أساليب الغزو الثقافي المعاصر

إن أساليب الغزو الثقافي متعددة ، فهي تتجه لفئة المتعلمين بإفساد التربية والتعليم والثقافة ، وللمجتمع والعامة لتخريب القيم بالإعلام الموجّه والتلفاز المصور . ويستعين خبراء هذا الغزو بوسائل كثيرة ، منها :

التبشير والتنصير ، والتصنيف والتأليف في المباحث الإسلامية ، والاستشراق والعبث بمقدرات الأمة ، والتنسيق بين المخططات الصهيونية والأفكار الغربية ، وإلقاء المحاضرات في الجامعات وتدوين الموسوعات أو دوائر المعارف الإسلامية والمعاجم العامة ، والتعاون بين التبشير والسياسة ، واستغلال البعثات التعليمية والثقافية ، والحركات الوطنية ، والأقليات والطوائف والنعرات القومية والمذهبية ، واستغلال فقر الشعوب وحاجاتها ، وعواطفها وميولها الجنسية ، والإكثار من الرحلات وجمعيات الصداقة ، والدعوة إلى الإنسانية والعالمية ، وإلى الحوار الحر بين الأديان والحضارات وغيرها ، وربط المساعدات الاقتصادية بتنازلات معينة ، وتسهيلات محددة . واستغلال حركات الإصلاح الإسلامي وتوجيهها وجهة تعصف بالأصول أحياناً ، وبالاقتصاد والسياسة أحياناً أخرى .

ووجدت من أجل إنجاح هذه الوسائل تيارات وحركات ومؤسسات كثيرة ، اشتركت فيها قوة الدولة وسخاؤها ، وأنشطة الجماعات ، وأقلام

الفلاسفة والكتاب والصحفيين ، وتعاون معهم بعض المتعلمين السطحيين السذج ، والانتهازيين والمرتزقة والخونة ، وقامت نتيجة لذلك حركات أثرت تأثيراً جانبياً في قطاعات من المجتمع ، بدأت ضعيفة ، ثم صارت قوية بدعم متواصل ، ورعاية مستمرة . ومن هذه الحركات الخبيثة :

الاستشراق ، والتبشير ، والصهيونيَّة ، والماسونية ، وأندية الروتاري والروتارية ، والعلمانية ، والقومية ، والتغريب ، والدعوة إلى اللغة العامية ، والوجودية ، والفوضوية ، والقاديانية ، والبابية والبهائية ، ونحو ذلك .

ومن يتتبع أنشطة هذه الحركات ، ولاسيما التبشير والاستشراق ، وما يثيران من شبهات وتحديات يدرك خطر الغزو الثقافي الذي يرمي إلى إيجاد تبعة فكرية للأفكار الغربية والصهيونية ، والترويج لسيادة الحضارة الغربية على الحضارات الأممية الأخرى ، ولاسيما الحضارة الإسلامية[١] .

* * *

(١) الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي : ص ٢٨ .

محاور الغزو

هناك محاور ثلاثة للغزو الثقافي المعاصر : وهي تشويه مصادر المعرفة الإسلامية ، وإضعاف مقومات نهوض الأمة ، ومحاولة فصلها عن دينها ودستور حياتها .

المحور الأول ـ تشويه مصادر المعرفة الإسلامية :

يحرص مخططو الغزو الثقافي على تشويه مصادر المعرفة الإسلامية ، واستلهام الماضي ، والتشكيك في إمكان النهضة والتقدم من خلال تلك المصادر ، وهي القرآن ، والسنة ، والفقه ، والتاريخ ، والسيرة ، واللغة ، والفكر الإسلامي والحضارة ، طاعنين في تلك المصادر كلها ، ومحاولة طمس معالمها والابتعاد عنها .

فهم يطعنون في **القرآن الكريم** ، من ناحيتي الثبوت والمضمون ، أما ثبوته : فينكرون كونه وحياً من عند الله ، ويزعمون أنه من تأليف محمد ﷺ وصنعه ، وأنه أثر من آثار إحساس النبي ﷺ بالظلم الاجتماعي الذي ساد أهل مكة ، ويستغلون وجود روايات وشبهات تدور حول تدوين القرآن وجمعه ، ويسيئون فهم القراءات التي نزل بها القرآن ، ويصورونها بأنها اختيار محض ، وتصرف في ألفاظ القرآن من غير تأصيل أو نسبة إلى الإله المنزِل هذا الكتاب على عبده ونبيه المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام . والقصد من كل ذلك إنكار كون القرآن كتاباً منزّلاً من عند الله

تعالى ، وأن الإسلام ليس ديناً سماوياً ، ولكنه ملفّق من اليهودية والنصرانية ، وأن القرآن ليس معجزاً ، ويمكن محاكاته والإتيان بمثله .

وأما مضمون القرآن الكريم : فهم يزعمون أنه قد حرّف وبُدّل ، مستغلين وجود آية النسخ ، وأن آيات القرآن يناقض بعضها بعضاً في اللفظ أو المعنى ، لسوء فهمهم وتصورهم ونقص إدراكهم ، وأن في القرآن أخطاء ، وأنه يتعارض مع العلم . وأنه يفرق ولا يسوّي بين الرجل والمرأة في الميراث وغيره . ويبيح الطلاق وتعدد الزوجات ، ويحرم المطلَّقة على زوجها حتى تنكح زوجاً غيره ، ويأمر بقطع يد السارق والمحارب حتى يصير عالة على المجتمع ، وأنه يصف الأرض بالثبات ، مع أنها تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة ، اعتماداً على وصف الجبال بأنها رواسي في الأرض ، لئلا تميد أو تضطرب بأهلها ، وهذا محض البلاهة والسخف ، وأنه لا يشتمل على نظريات أو دين متكامل للمسلمين ، إلى آخر ما هنالك من المغالطات وسوء الفهم وانعدام الإدراك وتبييت الحقد والغدر وعداوة الإسلام والمسلمين ، وفقدان تصور الوحدة التشريعية المتكاملة في أحكامه ومراميه ومقاصده .

ويركِّزون بنحو أشمل وأخطر على السنة النبوية التي صيغت بها الحياة الإسلامية ، طاعنين في أسانيدها ومشتملاتها على النحو الذي وجهوه من النقد للقرآن الكريم ، وأفرطوا في الخيال والكذب حين زعم « جولد تسهير » أن السنة النبوية من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، وتغالوا في إظهار الطعون التي قد يقتنع بعض البلهاء وذوو المقاصد الخبيثة بها ، من أجل الإساءة لدين الله وشرعه ، واستغلوا وجود وضع بعض الأحاديث أو ضعفها ، وهذا على العكس دليل تميز السنة وتنقية العلماء لها من الدخيل أو الغريب ، فإن المحدثين ورجال الأثر برعوا براعة لا نظير لها في التوثيق والتعديل والتجريح ، مما أدخل الطمأنينة

لثمرات جهودهم الجبارة ، ولم يكن لهم مثيل في تاريخ العلوم عند الأمم الآخرى ، فلم يكن كتاب الحيوان للدميري الذي اعتمد عليه جولد تسيهر مرجعاً مقبولاً للسيرة النبوية الذي جاء فيه أن أبا حنيفة لم يكن يعرف أن معركة بدر كانت قبل أحد أم بعدها ؟!

وحاولوا إنكار أصالة **الفقه الإسلامي** وزعموا أنه مستمد من القانون الروماني ، أو أنه محاكاة لأعراف البلاد التي فتحها المسلمون من بلاد الفرس والروم واليونان والهند والصين وغيرها .

وتشككوا في أحداث **السيرة النبوية** ، وشوهوا **التاريخ الإسلامي** وشككوا في مفاخره ، وركزوا على مباذله ، معتمدين على بعض الروايات الضعيفة أو المكذوبة ، وبعض الأحداث القاتمة أو المظلمة التي لا تمتّ إلى الإسلام وعقيدته وأخلاقه بصلة ، وأخبار كتّاب الأدب ، مثل كتّاب الأغاني ذي الأخبار الواهنة ، أو قصة ألف ليلة وليلة وكتاب دليلة ودمنة اللذين هما مجرد أساطير وخرافات ، وفارسيَين وهنديين في الأصل ، أو كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وهو بريء منه ، وغير ذلك من كتب التصوف مثل كتاب رسائل إخوان الصفا .

ولم تسلم لغة الضاد **العربية** الفصحى من طعون المستشرقين على الرغم من كونها أرقى اللغات وأخصبها ، وفوق مستوياتهم الفكرية والتصورية ، واشتمالها على المجاز والتراكيب المتعددة الألوان ، واصفين إياها بأنها لا تصلح للحضارة والعلم والمدنية ، وداعين إلى اللهجات المحلية واللغة العامية ، وكتابتها بالحروف اللاتينية ، لقطع الصلة بين المسلمين وبين القرآن والسنة النبوية .

واستغلوا في مجال الفكر آراء بعض **الفرق الإسلامية** الشاذة ، كالقرامطة والباطنية المجوسية ، وثورة الزنج ، وأشادوا برسائل إخوان

الصفا ودعاويهم الفاسدة ، وعُني بها المستشرقون والمبشرون والدكتور طه حسين ، لخدمة الفكر الليبرالي والماركسي على السواء ، وهي في الواقع وثيقة الصلة بالأفكار الباطنية ، وتبنوا بعض الدعوات الضالة كالقاديانية والبهائية ، واستغلها الإنكليز استغلالاً واضحاً .

وطعنوا في **الحضارة الإسلامية** وشوهوا معالمها ، وحاربوا الفكر الإسلامي من أجل تمجيد الحضارة الغربية وإشاعة روح التبعة الفكرية للغرب ، والعبودية الذليلة لكل ما يصدر عن الفكر الدخيل من مبادئ وقيم ، ومناهج وأنظمة ، وأخلاق وتقاليد ، وأفكار ومفاهيم ، بقصد فصل الفكر الإسلامي عن جذوره ، ووضعه تحت النفوذ الغربي ، والتشكيك في ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها ليعيش الناس في إحباط وظلام وخراب .

ولكن بُناة الصحوة الإسلامية وعلماء الأمة بالمرصاد لكل هذه الأباطيل ، والتحذير من هذه الأوهام والشبهات التي حفل بها التاريخ القديم ، وكشف القرآن عن زيفها في محاربة الوثنية والنفاق ومزاعم أهل الكتاب .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] .

المحور الثاني ـ إضعاف مقومات نهوض الأمة :

استغل مخططو الغزو الثقافي المعاصر منافذ لتحقيق أهدافهم في مجالات الحياة العامة ، ولإضعاف مقومات نهوض الأمة الإسلامية ، والتشكيك في قدرتها على التقدم أو التطور ، وأهم هذه المنافذ : الاقتصاد ، والتربية والتعليم ، والصحة ، والسياسة ، والإعلام .

أما الاقتصاد : فإن الغرب والصهاينة استغلوا حال تخلف العالم

الإسلامي اقتصادياً واجتماعياً ، في موازاة النهضة العلمية والصناعية والتقنية التي بدأ نموها في القرن التاسع عشر ، وملأت ساحة الحياة بالصناعات المتقدمة بعد اكتشاف الكهرباء والذرة بآلات سريعة ، كالسيارات والطائرات والصواريخ ورحلات الفضاء ، وأدوات المعامل والمصانع والمنازل ، وهذه دورة حياتية ، مهّد لها الاستعمار الحديث لأرجاء العالم الإسلامي .

وتناسوا ما قدّمه العرب والمسلمون في هذا الجانب في مجال المعرفة العلمية والفكرية والصناعية لعشرة قرون ، بدأت من القرن السابع الميلادي إلى أوائل عصر النهضة في القرن الثامن عشر الميلادي ، وعملوا على تطويق العالم الإسلامي وإضعافه بكل الوسائل بعد الحروب الصليبية ، وعلى إسقاط الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤ ، وتفريق الأمة ، وتقطيع أوصالها ، وتجزئة وحدة الأمة المسلمة ، وتفتيت بلاد المسلمين ، ووجود تفاوت فيما بينها .

فبعضها وصل إلى حد البطر بسبب النفط ، وبعضها في مرتبة الفقر والفاقة ، وحيل بين المسلمين وتحركهم وبين النهضة والتنمية والصناعات الثقيلة أو المتطورة ، مما أدى إلى وجود أزمات التخلف الاقتصادي ، وإشاعة الفقر والجهل والأمية .

وأما التربية والتعليم والثقافة الأجنبية : فكانت أدهى بيئة لتفريخ أفكار الغرب ، ولاسيما التبشير(١) ، وإيجاد جيل مبهور بالغرب وثقافته ، ونشر القوميات ، وفصل الدين عن الحياة ، والتعليم الشرعي عن التعليم العام ، وزرع الأفكار الإلحادية أو العلمانية ، وإشاعة الثقافة المائعة المنحلة ، والتشكيك بأصالة الانتماء للإسلام أو العروبة أو غيرهما ،

---

(١) التبشير والاستعمار : ص ٧٠ .

واستغلال حركات الإصلاح الإسلامية تمهيداً للفلسفات الغربية ، وتقبل الأفكار الأجنبية وإفرازات الصهيونية من وراء ستار الماسونية والروتارية ، وإيجاد دولة إسرائيل خنجر المنطقة ، وأداة التفرقة ، وإمداد هذه الدولة بكل وسائل القوة والامتياز والتفوق العسكري من أمريكا وروسيا وأوربة ، وكانت وسائل الغزو فرض اللغة الأجنبية وتغيير جميع مناهج المواد الاجتماعية والإنسانية لتواكب أهداف الغزو ومخططاته ، وإنشاء مؤسسات تعليمية لتوجيه تعليمنا الوجهة المناسبة لغزوهم ، كالمدارس والجامعات والمشافي .

ومَلأ الوسط العام عن طريق التربية والتعليم أناس ذوو اختصاصات متعددة في العلم والفكر والأدب والفن والإذاعة والصحافة ، كانوا أداة طيعة لنقض أساس الحضارة الإسلامية ، وإفساد الأخلاق ، وتمزيق الشعوب الإسلامية ، وفصل الإسلام عن العروبة ، مما أصاب الناشئة بالإحباط والعُقَدَ النفسية ومركب النقص والتشاؤم ، وتوجيه الطعن للدين وأهله ، والزعم بأنه عائق التقدم ، وعقبة النمو والازدهار واللحاق بركب الحضارة الغربية ، والاستخفاف بأسس الفكر الإسلامي ومعاقله وحضارته .

وأضحى ميدان التربية والتعليم والثقافة أول ميدان لاتجاه الغزو الثقافي إليه ، وتمرير الأفكار والعلوم الي تُبعد عن الإسلام ، وتروِّج لثقافة الغرب والسير في نمط حياته على حساب الدين والقيم والأخلاق وتخطط أمريكا الآن في تقرير سري صدر في صيف ٢٠٠٤ لإضعاف اللغة العربية ، وفصم الارتباط بها .

وأسهمت المنظمات الدولية ، كالأمم المتحدة واليونسكو في هذا المجال ، لفصل الدين عن الدولة والعلم والحياة ، فنشأت ازدواجية التربية والتعليم ، وظهر تياران متعارضان في الثقافة والتعليم : تيار

إسلامي وتيار الجامعات الجديدة . وكانت مناهج مدارس الدولة قريبة جداً من مناهج الإرساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية ، وتم فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى ، ليحقق الغزاة هدفهم من غزو الأفكار والنفوس والقلوب وغزو سلوك المسلمين ، تمهيداً لإبقاء الاحتلال والاستعمار الحديث بآثاره ومخططاته الخبيثة .

وأما **مرفق الصحة** : فكان كغيره مباءة لتفريخ آثار الغزو الثقافي عن طريق وسائل التبشير ، ففتحت المشافي ، وأرسلت الإرساليات الطبية ، وحدثت ألوان ابتزاز كثيرة في هذا المجال ، وأقر المبشرون أن هذا المجال أدى لنتائج أسرع وأفضل من عمل القسس التبشيرية ، وكان دور القابلات ، ومراكز الولادة الطبية التي أنشأها المبشرون ووسائل العزف بالموسيقا مهماً وذا تأثير واضح . قال الدكتور أراهاس طبيب إرسالية التبشير في طرابلس الشام : إنه قد مرّ عليه اثنان وثلاثون عاماً ، وهو في عمله ، لم يفشل إلا مرتين فقط ، وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور إليه ، لتنصيرهم . وذكر أن ٦٨٪ من الزبائن مسلمون ، ونصفهم من النساء ، وما تزال الإرساليات الطبية منتشرة في كثير من بلاد المسلمين ، وبخاصة في آسيا وإفريقية .

وأما **عالم السياسة** : فكان أيضاً في غاية الخطورة ، حيث عمل الغزاة على تنحية الشريعة الإسلامية في مجال الدستور والقوانين ، وإدخال القوانين الوضعية الفرنسية سواء في مصر أو شمال المغرب العربي ببلدانه الثلاثة ، والشام ، والهند ، وإندونيسيا وماليزيا وغيرها . وصحب ذلك إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا ، والقومية العربية في البلاد العربية ، والقومية الكردستانية والبربرية ، حتى اقتتل المسلمون باسم القومية والتحرير . وظهرت أيضاً الدعوة إلى العلمانية ، أي : فصل الدين عن الدولة .

وأما **وسائل الإعلام المختلفة** : فكانت وما تزال أخطر وسائل الترويج لأفكار الغرب والصهيونية ، وغزوهم الفكري المنظّم للأمة الإسلامية ، تذكُر المصادر التبشيرية الأجنبية : « أن الصحافة لا توجّه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه ، بل هي تخلق الرأي العام »[١] .

وهذه الوسائل المتنوعة من صحافة وإذاعة وتلفاز وسينما كلها مسخرة لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في الأرض ، بما يترتب على ذلك من زعزعة العقيدة في النفوس ، وتحطيم الأخلاق والقيم والمثُل . علماً بأن « العقيدة والأخلاق » أساس لبناء الإسلام ، فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء ؟!

المحور الثالث ـ محاولة فصل الأمة عن دينها وقرآنها :

هذه المحاولة تتم تحت ستار **العلمانية** بمعنى رفع شعار العلم في الظاهر ، أو نسبة إلى العالم ،وهي في الحقيقة تعني « اللادينية » أو « الدنيوية » . وهي أول عناصر الاتجاه الليبرالي الديمقراطي الذي ساد حياة المسلمين بتأثير الاستعمار . والعلمانية أوجدها اليهود للقضاء على نفوذ الكنيسة في أوروبة ، ونجحوا في تطبيق سياسة التعليم العلماني في الدولة الغربية ، وتم فصل الدين عن الدولة في الغرب ، ثم امتد إلى البلاد الإسلامية ، من طريق التعليم والإعلام .

وأما **الحداثة أو المعاصرة** فتعني المدنية الحديثة ، وما نجم عنها من أنظمة الحياة الإنسانية ومبادئها الفاسدة المنحرفة ، وقد جرّت على العالم كثيراً من الشرور والعواقب الوخيمة ، لأن المقصود منها إحلالها محل

---

(١) التبشير والاستعمار : ص ٢١٣ .

أسس الإسلام وقواعده ، وجعل الحياة الاجتماعية قائمة على مبادئ الزيغ والضلال ، والأفكار الهدامة ، وإقامة النظام التعليمي والاقتصادي والقانوني على نحو ماجن ونظام منحرف ، لايعرف الخير من الشر ، ولا يميز بين الحلال والحرام ، وجعل الأخلاق والمدنية مادية بحتة ، وهذا كله يتنافى مع أسس الإسلام وشرائعه ومبادئه ، فكان لابد من مقاومة هذه النظم ، حتى يستبدلوا بها شرعة الله لإنقاذ العالم كله ، أولاً من تلك العواقب الوخيمة ، وإنقاذ أنفسنا بالتالي منها .

وهذه الأنظمة الشائعة في الحياة الحاضرة بفروعها العقدية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية ترتكز على دعائم ثلاث : هي العلمانية أو اللادينية ، والقومية ، والديمقراطية الغربية .

* * *

طرق مواجهة الغزو الثقافي المعاصر

تتطلب مواجهة الغزو الثقافي المعاصر جهاداً متواصلاً للقضاء على أنظمة الحياة الفاسدة . وعلى العالم الإسلامي اتخاذ طرق سلبية ، وأخرى إيجابية .

أما الطرق السلبية أو الدفاعية فأهمها مايلي :

١ـ رصد الكتب والدوريات في مجال الأدب والتاريخ والثقافة ، وتفنيد مزاعم وسموم وشبهات المبشرين والمستشرفين حول الإسلام ، وبيان أخطائهم ومغالطاتهم .

٢ـ الرد على هجمات وتيارات الغزو الثقافي على الإسلام وديار المسلمين .

٣ـ تحرير وسائل الإعلام المختلفة من التبعة الفكرية للغرب ومؤسساته ، وإحباط مخططات الصهيونية والدوائر الغربية الموجهة نحو الإسلام ، ودراسة ذكية متأنية لها .

٤ـ دراسة نفسية المهاجمين من أعداء الإسلام والمقاومين من أهل التوحيد .

٥ـ تنويع وسائل الدفاع والتصدي معاً : فيجب ألا تقتصر الجهود على جانب دون آخر ، ونعتمد على القول والكتابة والممارسة الفعلية معاً ، وذلك بالمحاضرات والبرامج الإذاعية والتلفازية والمسرحية الإسلامية ، والقصة والشعر ، والكتاب والمجلة والصحيفة ، والنادي الإسلامي ،

والنشاط الرياضي ، والمتحف والمعرض الإسلامي ، والمكتبة والرسم ، والمختبر والمسجد والمدرسة والمركز الإسلامي التعليمي والطبي .

٦ـ الوقاية خير من العلاج ، والتحصين المبكر أفضل من انتظار العدوى ، والمقاومة خير وسيلة للدفاع ، فالمقدرة تتجلى ، والنجاح يتحقق في تدارك الخطر قبل وقوعه .

٧ـ قمع كل ما تكتبه الأقلام المعادية والمغرضة والمشبوهة ، وإتلاف كل كتب الإلحاد والضلال والفلسفات المخربة والمعادية للإسلام ، ومنع رواج المترجم منها في الدول الإسلامية .

وأما **الطرق الإيجابية** فكثيرة أهمها ما يأتي :

١ـ إعداد الجيل والأمة قاطبة على منهج كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه المصطفى ﷺ ، وسيرة الراشدين من الخلفاء وصلحاء الأمة ومصلحيها . وبناء الحياة الإسلامية على النحو الذي تربّى عليه السلف الصالح .

٢ـ الاعتماد على النفس وعلى قوة الإسلام الذاتية الجوهرية المتمثلة في صراحة أحكامه السديدة ، ومبادئه الرشيدة ، ومحاربته الفلسفات الرخيصة حول الإنسان والحياة والكون والفكر البشري .

لقد زيف القرآن الكريم كل العقائد سوى عقيدة التوحيد الكاملة ، وجاء بالشريعة الغراء لصالح البشر ، فتعانقت العقيدة والشريعة ، فلا يصح الأخذ بأحدهما وإهمال الآخر ، لأن الإسلام عقيدة وشريعة ، دين ودولة ، وأخلاق ودستور ونظام حياة . وصمد الإسلام ضد ألوان التحديات ، وأحبط كل المخططات والمؤامرات ، وقضى على التيارات الموجهة ضده ، ولم يتوقف عن الانتشار ، حتى في أشد أيام الصراع بينه وبين الاستعمار ، وفي العصر الحاضر حيث يعلن الغرب مع الصهيونية

الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين . وقد انتشر الإسلام بقوته الذاتية ، وبفضل مبادئه القائمة على الحق والعدل والمساواة ، والتي تحمل عنصري التوحيد والحرية .

وهذه الأصالة والقوة بقيت هي الأمل بعد تجربة المبادئ والنظريات الدخيلة ، وهي التي أثارت كوامن الصحوة الإسلامية ، وأعادت المسلمين والشباب منهم بصفة خاصة إلى دينهم الحنيف .

٣ـ إنشاء دوريات وكتابة كتب صغيرة بلغات متعددة ، ونشرها في الوسط الإسلامي ، وفي البلدان القريبة للتعريف بالإسلام .

٤ـ تعميم وتوحيد مناهج التربية والتعليم على أسس إسلامية ، دون فصل بين تعليم شرعي وتعليم عام ، حتى نبني جيلاً مؤمناً بربه ، صالحاً لحياة أفضل ، مستقيماً على منهج الحق الإلهي والأخلاق الإسلامية ، فإن قوام التربية والتعليم والتثقيف هو الأخلاق ، ولايصح الفصل بين التعليم والتربية أو بين التربية والأخلاق .

ولابد في مفهوم الإسلام من أن نحمي العلمَ قيمة أخلاقية واضحة ، حتى لاينحرف أو يفسد أو يتجه وجهة ضارة بالمجتمع الإنساني . ومن هنا كان لزاماً أن تدرس العلوم المختلفة من رياضيات وطبيعة وفلك وتكنولوجيا وطب وعلوم وتاريخ وجغرافية وغيرها بلغة المسلمين ، وهي العربية في أغلب مناطقهم ، ثم الانطلاق من خلالها إلى بناء قوتهم الذاتية ، ثم إقامة المجتمع الإسلامي على منهج القرآن والسنة .

٥ـ الاعتماد على إعلام إسلامي نقي وموجه ونافذ ، يدرك عمق الحياة ، وأبعاد الغزو الثقافي ومظاهره المتعددة ، ويحرك الحس الإسلامي المناسب ، ويطرح الإسلام شعاراً خالصاً صافياً مدروساً

معتمداً على الأمجاد ، متألقاً في جبين الحياة المعاصرة بكل الفضائل ، متخلصاً من ألوان الرذائل .

٦ـ التحرك الواعي على مستوى المجال الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والثقافي .

أما **المجال الاقتصادي** : فيكون بإرساء معالم الاقتصاد الإسلامي القوي ، البعيد عن الربا والاحتكار والاستغلال والغرر (الاحتمال) ، والقائم على العدالة في التوزيع .

وأما **المجال الاجتماعي** : فيتم بمعالجة مشكلات الشباب والأسرة والمرأة ، وعلاج الفقر ، ومحو الجهل والأمية ، والعناية بالصحة العامة ، والوقاية من الأمراض ، وتنظيم النسل من غير سلوك سياسة تحديد النسل ، وإنشاء مراكز خاصة للتوعية في هذا المضار .

وأما **المجال التربوي** : فيكون على أساس الجمع بين التربية الدينية الواعية والعلوم المختلفة ، والتخلص من إقامة المدارس العلمانية التي لا يتعلم فيها الطالب أوالطالبة التعاليم الإسلامية .

وأما **المجال الثقافي** : فيلاحظ في غرسه وبنائه وتوجيهه مدى مخاطر الغزو الثقافي الغربي الصليبي أو الإلحادي الذي تروِّج له وسائل الإعلام في الدول الإسلامية ، عن طريق الكتب والجرائد والمجلات وأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة ، لإفساد الشباب المسلم ، حيث تدعو إلى التحرر المرادف للفوضى ، زاعمة بأن الإسلام قيَّده حينما منعه من المحرّمات .

٧ـ تمجيد القدوة الحسنة من رجالات الإسلام العظام ، والترغيب في الإصلاح ، ورد المظالم ، وإحقاق الحق ، ودحر الباطل .

٨ـ تحريك الأنشطة الإسلامية الداعية بوعي واعتدال لمبادئ الإسلام

وثقافته ، والبعد عن العصبية المذهبية ، والحرص على وحدة الأمة ، وترك الجدال في الخلافات الجزئية ، التي تفرّق ولاتجمع ، وتشتت ولا تلمّ الشمل .

٩ـ عقد المؤتمرات العلمية في البلدان الغربية لمواجهة الغزو الثقافي الغربي ، والوقوف أمام الدعاية الصهيونية النشطة في كل أنحاء العالم .

١٠ـ إقامة صلات علمية حسنة بالمبشرين والمستشرقين لبيان جوانب الخطأ والمغالطة .

١١ـ التنسيق بين الدول والهيئات الرسمية والشعبية ، فمن العبث أو المستحيل على بلد إسلامي بمفرده ، أن يواجه تيارات الغزو بمفرده ، ويكون التنسيق بين الدول والشعوب ضرورة وجود لجميع الدول الإسلامية .

١٢ـ إرسال البعثات إلى خارج بلاد المسلمين ، مدة شهور أو سنين ، لتحقيق الاختلاط بين الثقافات والبلدان ، والإفادة من التطورات ومظاهر التقدم والتحضر ، ونقل التقنية والصناعة إلى البلاد الإسلامية ، وتنميتها وتطويرها ، فإن متطلبات التنمية تستوجب ذلك . كما أن أي إنتاج يتطلب خبرات ومهارات وتدريب الفنيين ، وهذا واقع لا مهرب منه . لكن لابد من توجيه هذه البعثات وتحصينها ورعايتها لتعود في أقرب وقت إلى البلاد الإسلامية أو الوطن ، محافظين على قيمهم ، غير معادين لتراثهم وقيمهم ، ولا منادين بكل ما هو غربي .

والخلاصة : لابد من توعية إسلامية متكاملة ، ودعوة كل مسلم لفهم دينه فهماً صحيحاً ، يعي أوامر الله ونواهيه ، وهو منشرح الصدر ، ثم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة ، يخطط ويبرمج ، ويَحْذر مخططات

الأجانب والصهاينة ، الذين يريدون اجتثاث الأرضية الإسلامية ، وإطفاء نور الشريعة والوحي الإلهي عن العالم ، كما قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف : ٨] .

* * *

التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني
أبعاده ومخاطره ووسائل منعه

الثقافة : هي استجابة الإنسان لإشباع حاجاته المادية والروحانية ، أو أنها تشمل نماذج الحياة الاجتماعية بأسرها ، العائلية والاقتصادية والدينية والأخلاقية والتربوية والجمالية والسياسية واللغوية والعلمية .

وفي تقديري يستحيل تحقيق تطبيع ثقافي مع الصهاينة ، لا من جانبنا وإنما من جانبهم ، لأن اليهود أو الصهاينة تتحكم فيهم طبائع ثلاث : وهي العنصرية أو الانغلاق ، والمادية المسيطرة ، وكراهية العالم أو الحقد على جميع من عداهم .

أما العنصرية : فهم يعتبرون أن الإله « يهوه » هو إله اليهود وحدهم ، وأن اليهودية دينهم المقتصر عليهم دون غيرهم ، ولا يسمحون لغيرهم بالانضواء تحت مظلة اليهودية ؛ لذا وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٨٨] .

وأما المادية المهيمنة على مشاعرهم وأخلاقهم ومعاملاتهم : فهم يؤلهون المادة ، ويسخِّرون كل شيء من الجاه والعرض في سبيلها ، لذا أخبر القرآن عن هذا الطبع المتوارث إلى الآن فيهم :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وأما كراهيتهم للعالم : فهذا واضح من جميع تصرفاتهم المشبوهة أو المريبة ومحاولاتهم المتكررة للسيطرة على الناس وتدخلهم في الشؤون المحلية ، والحرص على التفوق الاقتصادي ، والتحكم في وسائل الإعلام ، وإفساد الضمائر والأخلاق ، وتدمير العالم وتخريب المدنيات ، وقتل أهل المدن والقرى والشعوب الأخرى بقسوة وهمجية لا نظير لها ، كما يصرح كتابهم التلمود ، لذا قتلوا الأنبياء ظلماً وعدواناً ، قال الله تعالى في وصفهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٥-١٥٧] .

يتبين من هذا أن أبعاد التطبيع الثقافي معهم خطيرة ، لأنهم يريدون نشر عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم الإفسادية في غيرهم ليسيطروا على ثقافات وشعوب العالم الآخر .

وخطرهم الثقافي أشد من خطرهم الديني ؛ لأنهم يريدون تخدير العالم بنظرياتهم المادية في الحياة ، وتطويع من عداهم لأفكارهم ومآربهم الذاتية ، وأهدافهم وغاياتهم الدنيئة ، من خلال السلام ، بعد أن عجزوا عن تحقيق أطماعهم بالحروب والغارات ، وقتل وتشريد الشعب الفلسطيني .

ووسائل منع هذا التطبيع كثيرة : أهمها الحذر من محاولاتهم التخريبية ، وإدراك طبائعهم من خلال القرآن الكريم ومن مآسي تاريخهم الطويل عبر أدوار التاريخ ، فإنهم كانوا وما يزالون شوكة في ظهور المسلمين ، وهم حجر عثرة أمام تقدم المسلمين ونهضتهم .

إن أي تطبيع معهم ذو مفهوم مقصور عليهم ، ومن أجل مصالحهم

الذاتية ، وإن هدف التطبيع واضح : وهو الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة العربية وأهلها .

وإن اتفاقات السلم غير المتكافىء ، أو مدّ جسور التعاون الاقتصادي أو الثقافي مع دول عربية أو خليجية ، لن تحقق الهدف المنشود لغيرهم ، وينبغي دائماً الحذر من مطامعهم ، لقول الله تعالى : ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء : ١٠٢] . ومكمن الحذر إنما هو في المكر الصهيوني الخبيث والمخطط التآمري الشامل .

إن كل تطبيع ثقافي أو غيره محكوم عليه بالفشل إذا لم تسترد الحقوق المغتصبة في فلسطين ، وتتضح الرؤية حول حسن النوايا الصهيونية .

ومع الأسف الشديد عادت بعض الدول العربية إلى تجاوز نظام المقاطعة مع الصهاينة ، وجاء في الملحق الاقتصادي لصحيفة صهيونية « يديعوت أحرونوت » في صيف ٢٠٠٤ أن التصدير من الكيان الصهيوني إلى الدول العربية في ارتفاع بنسبة ١٣٪ وقد بلغت هذه الصادرات حوالي ٨٨ مليون دولار ، للأردن وتونس والمغرب ولبنان ومصر ودول الخليج .

* * *